أشعار الراضي بالله

التي قرر النسخة عليها في آخر عمره في كل فن، كان رضي الله عنه جمع شعره وأملاه علي، فكتبته بحضرة الجلساء في يوم وليلة، لا أقوم عنه إلا إلى صلاة، فوصلني على ذلك، ونسخ الجلساء هذه النسخة وهي عندهم.

فنظرت فيها فإذا فيها أشياء، فقلت له من حيث لا يسمعني أحد: يا سيدي هذا شعر يبقى على الأبد، وقد بقت فيه حروف تحتاج إلى أن نغيرها، فقد غير ابن المعتز شعره مرات، وإن أمرتني نسخته نسخة أخرى وعرضته على سيدنا ويأمر بأمره. فقال: افعل وأنا أصلك للنسخ وغيره، فعملت نسخة كتبتها وعرضتها عليه، وكان هذا في آخر أيامه، فسر بها، وقال: تأخذ نسخ أصحابنا منهم، وتقرر النسخة على هذا، فطالبته بالصلة للنسخ الثاني فوعدني به، ولم يعطينيه. فهو قولي له في أبياتي البائية:

قد كان لي موعد في النسخ لم أره ... وفاتني القدح المحفوف بالطرب

فمن شعره على قافية الباء:

لَوْ أَنَّ ذَا حَسَبٍ نَالَ السَّمَاءَ بِهِ ... نِلْتُ السَّمَاءَ بِلاَ كَدٍّ وَلاَ تَعَبِ

مَنَّا النَّبِيُّ رَسُولُ اللهِ لَيْ لَهُ ... شِبْهٌ يُقَاسُ بِهِ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ

فَإِنْ صَدَقْتُمْ فَأَعْلَى الْخَلْقِ نَحْنُ وَإِنْ ... مِلْتُمْ عَنِ الصِّدْقِ أَعْنَقْتُمْ إِلَى الْكَذِبِ

وقال في الغزل:

ضَحِكَ الزَّمَانُ إِلَيَّ عَنْ إِعْتَابِ ... وَأَعَارَنِي سَمْعًا لَبَثَّ عِتَابِ

رَمَدٌ بِعَيْنِي صَرْفُهُ عَنْ لَحْظَتِي ... إِذْ كَانَ بِي فِي شِرَّتِي وَشَبَابِي

سَابِقْ بِلَذَّتِكَ الشَّبَابَ فَإِنَّنِي ... أَصْبَحْتُ فِيهِ مُجَرَّدًا أَثْوَابِي

وَعلِمْتُ أَنَّ الدَّهْرَ حَرْبُ شَبِيبَتِي ... فَخَلَعْتُ فِي غَفَلاتِهِ آرَابِي

وقال:

أَلَذُّ وَأَشْفَى لَنَا مِنْ طَرَبْ ... وَأَطْيَبُ مِنْ رَشْفِ ماءِ العِنَبْ

تَبَذَّبُ سَاقٍ أَدَارَ العُقَارَ ... يَكْفِيكَ بِالْبَذْلِ ذُلَّ الطَّلَبْ

أَدَارَ لَنَا ذَاتَ يَاقُوتَةٍ ... وَأَلْبَسَها خلَعًا مِنْ ذَهَبْ

وعَدَّلَ سَائِرَ سَوْرَاتِها ... وذَرَّ عَلَيْهَا جُيُوبَ الحَبَبْ

ومُعْتَدِلِ الحُسْنِ لكِنَّهُ ... يُخَطِّي الذُّنُوبَ وحُبَّ الرِّيبْ

تَأَلَّفَ مِنْ خُدَعٍ كُلُّهُ ... بِسِحْرِ اللِّسانِ وظَرْفِ الأَدَبْ

لَهَوْنَا بِهَا وَنَعِمْنَا بِهِ ... فَكانَا جَمِيعًا عِنَانَ الطَّرَبْ

فَلَمَّا تَرَنَّحَ مِنْ سُكْرِهِ ... وجَرَّعْتُهُ فَضْلَ مَا قَدْ شَرِبْ

تَنَشَّرْتُ مِنْ نَشْرِهِ مِسْكَةً ... ونَاجَيْتُ فَتْكِي بِسِرٍّ عَجَبْ

وَكَمْ مِنْ لَيالٍ لَنَا أَسْعَفَتْ ... مَطالِبَنَا بِسُرُورِ الغَلَبْ

وقال:

يَلُومُنِي فِي لِحاظِ الطَّرْفِ غَيْرُكُمُ ... والذَّنْبُ ذَنْبُكَ إذا أَغْرَيْتَ سَقْيَكَ بِي

يا مَنْ يُحَمِّلُ ذَنْبَ الرَّاحِ شَارِبَهَا ... أَقْبِلْ بِوَجْهِ الرِّضا فِي سَاعَةِ الْغَضَبِ

وقال في قصيدة أولها:

أَأَنْ قَالَ لِي صَحْبِي تَسَلَّ بِغَيْرِهَا ... سَلَوْتُ وَهَلْ عَنْهَا أُصَادِفُ مَذْهَبا

فقال فيها:

وَلَيْلٍ أَضَاعَ الْخِلْوُ عِرْفَانَ طُولِهِ ... تَرَى النَّجْمَ فِيهِ لَا يَرُومُ تَغَيُّبَا
وَعَقْرَبُهُ فِي الْغَرْبِ تَهْوِي كَأَنَّهَا ... تُشَكِّلُ فِي حَقِّ التَّشَابُهِ عَقْرَبَا
قَطَعْتُ مُدَاهُ بِالأَمَانِي أَكُرُّهَا ... إِذَا قُلْتُ وَلَّى الْهَمُّ عَادَ فَآنْصَبَا
وَأَزْرَقَ خَفَّاقٍ تَلُوحُ كَأَنَّمَا ... تَجَلَّدَ دَرْعًا أَوْ بِسَلْخٍ تَجَبَّبَا
تَأَتْ عَنْهُ أَذْيَالُ السَّحَائِبِ فَأَخْتَلَى ... وَسَرَّبَ لِلتُّرْبِ الْقَذَى فَتَسَرَّبَا
وَيَلْمَحُهُ لُمْحِصِ الرِّيَاحِ بِطِيبِهِ ... فَيُرْعَدُ مِنْهُ الْجِسْمُ لُمْحًا مُحَبَّبَا
وَإِنِّي لَذُو صَبْرٍ عَلَى رَغْمِ حَاسِدِي ... أُفَلِّقُ هَامَ النَّائِبَاتِ تَعَقُّبَا
وَأُغْضِي عَلَى بَعْضِ الأَذَى فَتُثِيرُنِي ... عَوَاصِفُ ذَنْبِ الْحِلْمِ شَرْقًا وَمَغْرِبَا
وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ رَعَتْ لَهَوَاتُهُ ... مُنَابِتَ عِرْضِي فَاسْتَجَابَ مُكَذِّبَا
وَثَبْتُ إِلَيْهِ ذَا اعْتِزَامٍ وَسَطْوَتِي ... عَلَى الظُّلْمِ لَا يَزْدَادُ إِلَّا تَوَثُّبَا
وَأَوْطَأْتُهُ ذُلًّا يُبَاقِيهِ وَسْمُهُ ... وَأَنْشَبَ كَيْدِي فِيهِ نَابًا وَمِخْلَبَا
وَإِنِّي امْرُؤٌ تَصْفُو مَوَارِدُ رَأْفَتِي ... وَتَحْرُبُ سَطْوَاتِ الْعَدُوِّ الْمُحَرَّبَا
إِذَا عُدَّتِ الأَبْيَاتُ أَبْصَرْتَ بَيْتَنَا ... كَأَنَّ الثُّرَيَّا بِالْبَنِيِّ مُطَنَّبَا
رُوَيْدَكَ إِنَّ النَّارَ تَظْهَرُ تَارَةً ... وَيَكْمُنُ فِي الأَحْجَارِ مِنْهَا تَغَيُّبَا

وقال يهجو ابن رايق وأحسن:

أَيَطْلُبُ كَيْدِي مَنْ يَهُونُ كِيَادُهُ ... فَيُوقِدُ نَارًا مِثْلَ نَارِ الْحُبَاحِبِ
لَقَدْ رَامَ صَعْبًا لَمْ يَرُمْهُ شَبِيهُهُ ... وَرَاضَ شَمُوسًا لَا يَذِلُّ لِرَاكِبِ
صَغُرْتَ عَنِ الأَمْرِ الَّذِي رُمْتَ فِعْلَهُ ... فَطَالَعْتَنِي بِالضَّغْنِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَأَظْهَرْتَ لِي حُبًّا يَطِيفُ بِهِ قِلًى ... كَخَائِبِ بَرْقٍ فِي عِرَاضِ سَحَائِبِ

أَتَعْقِدُ لِي كَيْدَ النِّسَاءِ بِمَرْصَدٍ ... وَإِنِّي فَتِيُّ السِّنِّ شَيْخُ التَّجَارِبِ

أَلاَ رُبَّمَا عَزَّتْ عَلَى الْحَازِمِ الَّذِي ... تَرَاهَا بِكَفَّيْهِ فَرِيسَةَ طَالِبِ

تُكَشِّفُ لِي الأَيَّامُ مِنْكَ مَعَايِبًا ... وَقَدْ جُرِّبَتْ لاَشَكَّ أَخْزَى المَعَايِبِ

فَأَصْبَحْتَ مَقْهُورًا وَعَادَتْكَ نَكْبَةٌ ... تَشَكَّى إِلَيْكَ الشَّوْقَ شَكْوَى الْحَبَائِبِ

وَكُنْتُ إِذَا عَاتٍ تَعَبَّثَ جَهْلُهُ ... عَبَثْتُ لَهُ بِالْمُرْهِفَاتِ القَوَاضِبِ

وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ رَامَ مَا رُمْتَ فَانْثَنَى ... وَقَدْ لَسَبَتْهُ مُتْلِفَاتُ الْعَقَارِبِ

وقال يفخر:

سَقَى اللهُ أَطْلاَلًا رَعَيْتُ بِهَا الصِّبَا ... سَحَابَةَ غَيْثٍ لاَ يَكِفُّ سَكُوبُهَا

زَمَانَ مَغَانِي اللَّهْوِ مَأْنُوسَةُ الْحِمَى ... وَحُوزُ الْغَوَانِي غُصْنُهَا وَكَثِيبُهَا

وَعُودُ الصِّبَا لَمْ يَذْوَ غَضُّ نَبَاتِهِ ... وَمَرَحُ الشَّبَابِ إِلْفُهَا وَقَرِينُهَا

يَقُولُونَ كُفَّ النَّفْسَ عَنْ ظَبَيَاتِهَا ... وَقَدْ مَرَدَتْ عِشْقًا وَحَارَتْ ذُنُوبُهَا

ظَعَنْتَ وَقَدْ خَلَّفْتَنِي نُهْبَةَ الأَسَى ... لِعِلَّةِ وَجْدٍ لاَ يُصَابُ طَبِيبُهَا

لَتَهْنِكَ لَوْعَاتٌ تُرَدِّدُ فِي الْحَشَا ... وَعَصْيَانُ عَيْنٍ مَا تُطِيعُ غُرُوبُهَا

وَتَضْيِيعُ رَأْيٍ فِي اصْطِنَاعِ مَعَاشِرٍ ... يُسَوِّدُ وَجْهَ الاصْطِنَاعِ عُيُوبُهَا

أَنَا ابْنُ الأُلَى مِنْ هَاشِمٍ زِنْتُ هَاشِمًا ... كَمَا زَانَهَا الْعَبَّاسُ قَبْلِي نَسِيبُهَا

سَلِي تُخْبِرِي مَنْ كَانَ طِفْلًا وَيَافِعًا ... فَعَزَّتْ بِهِ الدُّنْيَا وَذَلَّ خُطُوبُهَا

أَلَمْ أَطْلِ الآمَالَ عِلْمًا وَسُؤْدَدًا ... وَتَفْخَرُ بِي شُبَّانُ فِهْرٍ وَشِيبُهَا

لأَنِّي إِنْ ضَلَّ الغَرِيمُ غَرِيمُهَا ... وَإِنْ فُحِمَ الْخُطَّابُ مِنْهَا خَطِيبُهَا

وَسَيْفِي عَلَى أَعْدَائِهَا سَيْفُ نِقْمَةٍ ... جَرِيٌّ عَلَى الأَعْمَارِ فِيمَا يَنُوبُهَا

وقال:

يَـــوْمٌ أَتَـــى بِدِيمَـــةٍ هَطَّالَـــةٍ ... تُـبْرِزُ مِـنْ نَبْتِ الرِّيـاضِ مَـا احْتَجَبْ
وَقَـدْ كَسَتْ يَـدُ النَّـدَى وَجْـهَ الثَّـرَى ... ثِيَـابَ زَهْـرٍ مِـنْ لُجَـيْنٍ وَذَهَـبْ
وَنَهَـرٌ شَـقَّ الرِّيَـاضَ جَرْيُـهُ ... مُنْفَجِـرٌ يَحْكِـي لَنَـا شَـقَّ الطَّـرَبْ
تَـراهُ يَنْسَـابُ كَـأَفْعَى كَارِهًـا ... خَـوْفَ طَلُـوبٍ مُـدْرِكٍ لِمَـا طَلَـبْ
وَزَادَنِي فِي طَـرَبِي مُـنْعِمٌ ... دَانِي الرِّضَـا مِنِّـي نَـاءٍ بِالْغَـضَبْ
يُـدِيرُ رَاحًـا لَمَعَـتْ فِي كَأْسِـهِ ... وَأُلْبِسَـتْ فِي مَزْجِـهِ تَـاجَ ذَهَـبْ
كُـلُّ سُرُورٍ فِيـهِ مِـنْ تَمَامِـهِ ... وَكُـلُّ حُـسْنٍ فَإِلَيْـهِ يَنْتَسِـبْ
يَـرْكُضُ سَـعْيِي إِنْ قَـصَدْتُ فَتْكَـةً ... وَإِنْ قَـصَدْتُ النُّسْكَ فَالسَّيْرُ خَبَـبْ

وقال:

تَـأَوَّبَنِي طَـارِقُ الْهَـمِّ نَـضْبَا ... وَأَبْـدَلَ سِـلْمِي لِلـدَّهْرِ حَرْبَـا

فقال فيها:

ونَـارٍ عَـلَى شَرَفٍ أَوْقَـدَتْ ... فَـشَاهَدْتُ مَوْقِـدَهَا حِـينَ شَـبَّا
فَلِلَّـهِ مَـا خَبَّـأَ الـدَّهْرُ لِي ... أَفِي كُـلِّ قُطْـرٍ عَـدُوٌّ مُحَبَّـا
وَثَـوْبَ ظَـلَامٍ تَدَرَّعْتُـهُ ... أَهُـبُّ لَـهُ يَقِظًـا حِـينَ هَبَّـا
فَأَنْبَـتَ مَزْعًـى عَـلَى دِمْنَـةٍ ... أُرَاقِـبُ مِـنْ عَطْفَـةِ الـدَّهْرِ وَثْبَـا
وَقَـالُوا حَلِـيمٌ وَلَمْ أَسْـتَطِعْ ... لِرَايَـةِ سَـطْوٍ عَـلَى الـذَّنْبِ نَـصْبا
أُشْـهِرُ سَـيْفِي عَـلَى نَـابِحٍ ... وَأُفْـرِسُ لِلنَّـأْرِ قِـرْدًا وَكَلْبَـا
إِذَا لاَ رَتَـوَى مِـنْ دَمِ خَـدِّهِ ... وَلاَ سَـارَ بِالْعَـدْلِ شَرْقًـا وَغَرْبَـا

وكَمْ قَدْ وَطِئْتُ عَلَى فِتْنَةٍ ... وَثُرْتُ بِأُخْرَى فَقَضَّيْتُ نَحْبَا
أَحَالُ إِذَا دَهَمَتْنِي الخُطُ ... ـوب وَفِي كُلِّ عُضْوٍ بِجِسْمِي قَلْبَا
وَمِنْ حَادِثٍ دُسْتُ أَمْثَالَهُ ... وَأَتْبَعْتُ نَكْبَ مَعانِيهِ نَكْبَا
أَرَى مُسْتَكِينًا لأَقْرَانِهِ ... إِذَا لاَ أَسَغْتُ مِنَ الْمَاءِ عَذْبَا

وقال يعذر نفسه في خروجه إلى الموصل:

أَمُغْنِيَةٌ مَعَ الظُّلَمِ الخُطُوبُ ... فَيُغْفِرَ مَا جَنَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ
عَجِبْتُ لِصَرْفِ دَهْرٍ صَافِيَاتٍ ... مَكَارِهَهُ وَعَيْشٍ لِي مَشُوبِ
كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِذَحْلٍ ... فَحَظِّي مِنْهُ إِضْرَاءُ الخُطُوبِ
وَهَوَّنَ بَعْضَ مَا أَلْقَاهُ أَنِّي ... نَقِيُّ الْجَيْبِ مِنْ دَنَسِ الْعُيُوبِ
إِذَا لَمْ أُوتَ مِنْ رَأْيِي مَصِيبٌ ... فَمَا عِلْمِي بِإِضْمَارِ الْغُيُوبِ
وكَمْ رَيْبَ لِصَرْفِ الدهرِ هَابٍ ... جَلاَهُ النَّصْرُ مِنْ رَبِّ مَهُوبِ

وقال وزعم أنه قصد بها أتباع علي بن محمد العلوي على هذا الوزن:

سَقْيًا لِلَذَّاتِ وَطِيبٍ ... بَيْنَ الشَّبَابِ إِلَى الْمَشِيبِ
ولِنَظْرَةٍ مَهْتُوكَةٍ ... تَذْنِي الْبَرِيءَ مِنَ الْمُرِيبِ
مَعْقُولَةٍ بِيَدِ الْهَوَى ... مَرْبُوبَةٍ بِيَدِ الرَّبِيبِ
إِذْ غَالَبَتْ كَفِّي الزمانَ ... وإِذْ شَرِبْتُ عَلَى الرَّقِيبِ
بِخُيُولِ لَهْوٍ أَرْسَلَتْ ... سَحًّا بِهِ ذَيْلَ الْغُيُوبِ
رَكَضَتْ بِنَا وَشِعَارُهَا ... لاَ حُكْمَ إِلاَّ لِلْحَبِيبِ
شَوْقٌ يُعَرِّمُ فِي الحُضُو ... رِ فَكَيْفَ يَفْعَلُ فِي الْمَغِيبِ

وقال:

وَقَهْـــوَةٍ يَتَرَامَـــى ... شَـــعاعُها بِلَهِيـــبِ
جَعَلْتُهـــا حَـــظَّ نَفْـــسِي ... عِـــشْقًا لَهَـــا وَنَـــصِيبِي
بِيَـــوْمِ سَـــعْدٍ مُـــصَفًّى ... مِـــنَ الزَّمَـــانِ المَـــشُوبِ
فَـــسَقِّنِي تِـــذْكارًا ... لِطَاعَـــةِ المَحْبُـــوبِ
وَاعْـــصِ الرَّقِيـــبَ فَـــإِنِّي ... أُحِـــلُّ قَتْـــلَ الرَّقِيـــبِ
أَبَـــى شَـــبابِيَ إلاَّ ... عَـــصِيَّةً لِمَـــشِيبِي
مَـــا سَـــوَّدَ النَّـــسْكُ مِنِّـــي ... إلاَّ بَيَـــاضَ ذُنُـــوبِي

وقال في طريق الموصل:

جَـــدَّد البَـــيْنُ كُرُوبًـــا ... وَكَـــوَى الفَقْـــدُ قُلُوبـــا
باعَـــدَ المِقْـــدَارُ بَغْـــدَا ... دَ ضِرَارًا وَنُكُوبَـــا
أَوْجَـــبَ البَـــيْنَ أُنَـــاسٌ ... عَلَّمُـــوا قَلْبِـــيَ الوَجِيبـــا
لَهَـــفَ نَفْـــسِي لِزَمَـــانٍ ... كَـــانَ لِي غَـــضًّا رَطِيبَـــا
رَبِّ خُـــذْ لِي مِـــنْ حَـــسُودٍ ... حَجَـــبَ الظَّبْـــيَ الرَّبِيبَـــا
فَلِـــذاكَ النَّـــوْمُ فِي ... عَيْنِـــي قَـــدْ صَـــارَ غَرِيبَـــا
فَلِـــذا أَهْـــوى مَـــعَ الـــ ... ـــرُّؤْيَةِ هَجْـــرًا وَرَقِيبَـــا
يَـــا حَبِيبَـــيَّ وَهَـــلْ ... خَلْـــقٌ يُـــرى البَـــوْمَ حَبِيبَـــا
أَعْفِيـــانِيَ عَـــنْ مَـــلامٍ ... بِالَّـــذِي يَعْفُـــو الـــذُّنُوبا
وَعُقَـــارٌ ذَوْبُ شَـــمْسٍ ... جَمَعَـــتْ حُـــسْنًا وَطِيبَـــا

أَضْوَأَ اللَّيْلُ سَناها ... لَمعانًا وَلَهِيبَا
سَلَبَتْ عَقْلِيَ خَتْلًا ... وَسَرَتْ فِيَّ دَبِيبَا
ضَحِكَتْ بِالْمَزْجِ كَرْهًا ... ونَفَى عَنْهَا الْقُطُوبَا
ذَرَّ مِنْ دُرٍّ عَلَيْهَا ... حِينَ صَافَاها جُيُوبَا
قَدْ سَقَانِيها غَزَالٌ ... عَالِمٌ مِنِّي عُيُوباَ
حَقَّقَ الرِّيبَةَ لَحْظٌ ... مِنْهُ خَلَّانِي مُرِيبَا
وَتَرَى الْغُصْنَ لِعِطْـ ... ـفَيْهِ إِذَا اهْتَزَّ نَسِيبَا
كَمْ تَحَمَّلْتُ حُرُوبًا ... وَتَخَطَّيْتُ خُطُوبَا
وَرَأَى الأَعْدَاءُ بَعْدِي ... لِي دَارَاتٍ قَرِيبَا
فَدَعِي اللَّوْمَ فَمَا رَبْـ ... ـحِي لِذِي اللَّوْمِ خَصِيبَا

وقال:

كُلُّ دَاعٍ سِوَايَ غَيْرُ مُجَابِ ... وَعَذَابُ الْهَوَى أَشَدُّ عَذَابِ
كَمْ يَكُونُ الْخِلَافُ وَالْبُعْدُ قُلْ لِي ... مَعَ ذُلِّي وَطَاعَتِي واقْتِرَابِي؟
كُلَّ يَوْمٍ يَرُوعُنِي مِنْكَ وَعْدٌ ... مَطْمِعٌ لُمْعُهُ كَلَمْعِ السَّرَابِ

وقال على قافية التاء

وَمِنْ مَلِيحِ الذُّنُوبِ إِنْ ذُكِرَتْ ... لَثْمِيَ فَاهُ وَرَشْفُ رِيقَتِهِ
فِي ثَوْبِ لَيْلٍ أَبَلَيْتُ جِدَّتَهُ ... وَجَادَ لِي سَيْرُهُ بِزَوْرَتِهِ
فَصِرْتُ بِاللَّيْلِ ذَا مَوَانَسَةٍ ... أَشْكُرُ مَا عِشْتُ فَضْلَ نِعْمَتِهِ
وَأَعْطَتِ الرَّاحُ مَا أُؤَمِّلُهُ ... قُوَّةُ حُكْمِي وَضَعْفُ قُدْرَتِهِ

شُكْرِيَ وَقْفٌ عَلَى المُدامَةِ إِذْ ... ذَلَّلَتِ الصَّعْبَ لِي بِسَكْرَتِهِ

وقال يعرض بابن رايق:

مَا بَالُ إِحْسَانِي إِذَا أَصْحَبْتُهُ ... خَلَلَ الرِّجالِ يَصِيرُ مِثْلَ إِسَاءَتِي
مَا إِنْ كَفَفْتُ أَذِيَّةً إِلاَّ هَوَتْ ... نَحْوِي بِكَفٍّ تَجَاوُزِي وَأَنَاتِي
فَلِذَاكَ أَصْبِرُ صَبْرَ عَافٍ عاقِلٍ ... وَأُهَتِّكُ المُذْعُورَ فِي وَثَبَاتِي
فَإِذا غَفَلْتُ عَنِ الْكَفُورِ فَإِنَّما ... أُهْدِي إِلَيْهِ الْحَتْفَ مِنْ غَفَلاتِي

وقال:

الْعَيْشُ رَاحٌ يُعاطِيهَا بِرَاحَتِهِ ... مَنَعَّمٌ يَقْتَضِي عِشْقًا بِلَحْظَتِهِ
كَأَنَّمَا لَوْنُهَا مِنْ لَوْنِ وَجْنَتِهِ ... وَطَعْمُ رِيقَتِهَا مِنْ طَعْمِ رِيقَتِهِ
إِنْ أَمْكَنَ الدَّهْرُ مِنْ عَيْشٍ بِشَهْوَتِهِ ... فَانْعَمْ بِغَفْلَتِهِ مِنْ قَبْلِ فِطْنَتِهِ

وقال حين اشتدت علته:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَخْطُبُ خُطْبَةً ... وَأَيَّامُهُ تَعْدُو عَلَيَّ بِنَوْبَاتِ
عَصَيْتُ زَمانًا قَدْ تَمَاسَرَ صَرْفُهُ ... وَأَتْبَعْتُ يَوْمَ الْهَمِّ يَوْمَ لَذَاذَاتِ
وَأَيْقَنْتُ أَنِّي مُهْجَةٌ مُسْتَعَارَةٌ ... تُرَدُّ إِلَى مِلْكِ الْمُعِيرِ بِغُصَّاتِ
فَيَا لَيْتَنِي أَمْضَيْتُ مَا كُنْتُ عازِمًا ... عَلَيْهِ لِيَشْفِي دَاءَ صَدْرِي وَلَوْعَاتِي

وقال على قافية الجيم

وَنَاظِرٍ عَنْ دَعَجٍ ... مُحَكَّمٍ فِي الْمُهَجِ
يُدِيرُ كَأْسًا فَرَجَتْ ... هَمَّ الْفَتَى بِالْفَرَجِ

قَدْ أُزْعِدَتْ لِزِجِهَا ... وَالْتَهَبَتْ كَالسُّرُجِ
أَدارَهَا مُنْتَطِقٌ ... مُصَوَّرٌ مِنْ غَنَجِ
أَطلَعَ مِنْ طُرَّتِهِ ... أَهِلَّةً مِنْ سَبَجِ
تَكَشَّفَتْ ضَحْكَتُهُ ... عَنْ بَرَدٍ مُفَلَّجِ
يَا مَجْلِسًا جَعَلْتُهُ ... فِي مُدَّتِي أُنْمُوذَجِي
كَانَ كَلَحْظِ الطَّرْفِ ... فِي سُرْعَةِ مَرٍّ وَمَجِي

وقال وقد نالته جفوة من أبيه:

على قافية الحاء

هَلاَّ رَدَدْتَ عَلَى الْعَدُوِّ الْكاشِحِ ... وَقَبِلْتَ مِنَ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ
الآنَ حِينَ مَلأْتَ قَلْبِي رَغْبَةً ... أَعْقَبْتَهَا ظُلْمًا بِيَأْسٍ قَادِحِ
وتَكَلَّفَتْ نَفْسِي إِلَيْكَ بِمُنْيَةٍ ... أَلَذُّها مِثْلَ الزُّلالِ التَّايِحِ
أَبْعَدْتَ ظَنِّي بَعْدَمَا قَرَّبْتَهُ ... وَلَسَوْفَ تَذْكُرُ فِي فَسَادِي صالِحِي
ما لِلإِمامِ تَنَكَّرَتْ أَخْلاَقُهُ ... مِنْ قَوْلِ هاجٍ فِي مَكانِ مَدائِحِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْتَجِي إِنْصافَ مَنْ ... يَجْرِي إِلَى ظُلْمِي بِقَوْلِ الْكاشِحِ
جَمْرِي إِذَا ما شِئْتَ طافٍ خامِدٌ ... وَإِذا تَشاءُ فَكَالشِّهابِ اللاَّئِحِ
وَالنَّارُ قَدْ يَخْفَى عَلَيْكَ ضِياؤُها ... حَتَّى تُحَرِّكَها بَنانُ الْقادِحِ

وقال على قافية الدال

بادِرْ بِلَهْوِكَ لَيْلَةً بَدْرِيَّةً ... وَاقْصُدْ بِما تَهْوَى بِرَغْمِ الْحُسَّدِ
وَمُرِ الْغَرِيرَ يُدِيرُ بِكْرَ سُلافَةٍ ... لا تَسْمَعَنَّ لِعاذِلٍ وَمُفَنِّدِ

يَهْتَزُّ فِي سُودِ الثِّيَابِ كَأَنَّهُ ... بَدْرٌ تَجَلَّى مِنْ غَمَامٍ أَسْوَدِ
مَا زِلْتُ أَسْحَرُهُ بِلَحْظٍ خَاتِلٍ ... وَأَسُومُهُ الإِنْجَازَ قَبْلَ الْمُوعِدِ
حَتَّى تَوَرَّدَ خَدُّهُ بِمُدَامَةٍ ... كَالْمِسْكِ ذَاتِ تَوَقُّدٍ وَتَوَرُّدِ
وَتَبَيَّنَ الإِنْعَامُ فِي أَلْحَاظِهِ ... مُتَقَرِّبَ الأَلْفَاظِ بَعْدَ تَبَعُّدِ
حَتَّى انْثَنَى فِي الأَرْضِ يَلْثِمُ خَدَّهُ ... شَوْقًا إِلَى فَرْدِ الْمَلاَحَةِ أَوْحَدِ
يَا لَيْلَةً كَانَتْ لِدَهْرِي غُرَّةً ... طَلَعَتْ عَلَيَّ نُجُومُهَا بِالأَسْعُدِ

وقال في حبس القاهر:

فَقَدْتُ الْهَوى وَعَدِمْتُ الْوَدُودَا ... وَأَبْلَى الْجَدِيدَانِ مِنِّي الْجَدِيدَا
وَقَدْ كُنْتُ دَهْرًا أَطِيعُ الْهَوى ... وَأُجْرِي مَعَ اللَّهْوِ شَأْوًا بَعِيدَا
فَحَرَّمْتُ كَأْسِي عَلَى لَذَّتِي ... وَأَزْمَعْتُ كُلَّ وِصَالٍ صُدُودَا
أَبَعْدَ إِمَامِ الْهُدَى أَبْتَغِي ... سُلُوًّا وَأَمْلأُ طَرْفِي هُجُودَا
وَقَدْ قَتَلَتْهُ الْعِدَا غِرَّةً ... وَمَا صَادَفَتْ مِنْهُ عَبْدًا عَنِيدَا
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي جَحْفَلٍ ... يُجِيرُ الرَّدَى وَيَجُدُّ الْجُنُودَا
يَعِزُّ عَلَيْهِ وَأَنِي بِهِ ... يَسِرُ نِي لِفَضْلِي أَسِيرًا فَرِيدَا
تُبَاشِرُنِي ضَبَّقَاتِ الْحُبُو ... سِ وَأَحْسَبُ مِنْ غَيْرِ فَقْدٍ فَقِيدَا
وَكُنْتُ بِهِ مَالِكًا لِلزَّمَانِ ... أَمُرُّ الصَّدِيقَ وَأُشْجِي الْحَسُودَا
فَأَفْرَشْتُ خَدِّي لِوَطْءِ الْعِدَا ... وَأَفْرَشَ أَهْلِي لأَجْلِي خُدُودَا
وَعَرَّفَنِي فَقْدُهُ النَّائِبَاتِ ... وَذَلَّلَ مِنِّيَ صَعْبًا جَلِيدَا
فَيَا لَيْتَ رَكْبًا إِلَيْنَا نَعَوْهُ ... نَعَوْنَا إِلَيْهِ وَنَالَ الْخُلُودَا

وقال:

أفـــادني وُدَّكَ بَعْـــدَ كَـــدٍّ ... دَهْـــرٌ نَحـــانِي صَرْفُـــهُ بِقَـــضْدِ
يَطْلُـــبُ نَفْـــسِي ثـــائِرًا عَـــنْ عَمْـــدِ ... فَـــصِرْتُ إذ أَصْـــفَيْتَنِي بُـــودِّ
عُـــذْرُ إســـاءَاتِ الزَّمـــانِ عِنْـــدِي ... وَهـــيَ كَثِـــيراتٌ تَفُـــوتُ عَـــدِّي
قَـــدْ يَغْلُـــظُ الحُـــرُّ بِوَقْـــتِ سَـــعْدِ ... وَيَقْـــدَحُ القُـــرْبُ بِزَنْـــدِ البُعْـــدِ

فَاجَي إِلى الْوَصْلِ ثَقِيلُ الصَّدِّ

وغناه يومًا عبد الرحمن بن طرخان بشعر لي وهو:

لَيَـــالِي صُـــدُودِيَ لَيْـــسَتْ تُـــضِي ... وَعُمْـــرُ تَجَنِّيـــكَ مَـــا يَنْقَـــضِي
وَمَـــا تَـــأْلَفُ الـــنَّفْسُ يَـــا مُنْيَتِـــي ... سِـــوَى مـــا تُحِـــبُّ وَمـــا تَرْتَـــضِي
تَقَاضَـــيْتَ عَيْنِـــي بِغُـــنْجِ اللِّحَـــا ... ظِ دُمُوعًـــا فَأَعْطَتْـــكَ مـــا تَقْتَـــضِي

فأنشدنا من غد ذلك اليوم:

نِـــيرانُ هَجْـــرِي لَـــيْسَ تُخْمَـــدُ ... وَسُـــيُوفُ عَيْنِـــكَ لَـــيْسَ تُغْمَـــدُ
وَالـــنَّفْسُ فـــيما ســـاءَها ... طَنَبًـــا لَمَـــا يُرْضِـــيكَ تَجْهَـــدُ
وَالجُـــودُ مِنْـــكَ مَبَاعَـــدٌ ... وَالبُخْـــلُ دانٍ لَـــيْسَ يَبْعُـــدُ
مَـــنْ ذا يَكُـــونُ مُبَـــشِّرِي ... بِـــالعَطْفِ مِنْـــكَ عَـــلَيَّ أَحْمَـــدُ

وقال:

أَنْـــتَ وَشَـــمْسُ الحُـــسْنِ حَلَّـــتْ قِناعَهـــا ... عَـــنْكِ وَأَنْـــتِ الْبَـــدْرُ وَافَـــقَ أَسْـــعُدا
تَـــصُدِّينَ إِذْلالًا وَمَـــا بِـــكِ قُـــدْرَةٌ ... عَـــلَى الـــصَّدِّ لَـــوْ أَنِّي مَلَكْـــتُ تَجَلُّـــدا

وقال يذم الموصل ويمدح بغداد:

على قافية الراء

أَعْـذَرَ لَفْـظُ الْمُحِـب بالْعُـذْر ... وَاخْـتَلَطَ الـسِّرُّ مِنْـهُ بـالْجَهْرِ

وبِعْـتُ أَرْضَ الْعِـراقِ بَيْعَـةَ مَغْـ ... ـبُونٍ فَجَمَّـتْ بلابِـلُ الـصَّدْرِ

وَسَـائِلٍ لاَ يَـزَالُ عَـنْ خَـبَرِي ... إِسْـمَعْ فَـما بِي يَجِـلُّ عَـنْ قَـدْرِ

فَارَقْـتُ مَغْنـىً مُـذَكِّرًا بِهَـوًى ... يَلْـذَعُ قَلْبِـي بِعـارِضِ الـذِّكْرِ

وَجِئْـتُ أَرْضًـا تَـسُوء سَـاكِنَهَا ... وَتُبْـدِلُ الْيُـسْرَ مِنْـهُ بِالْعُـسْرِ

يَـضْحى بِهَـا نَـاكِلًا لِلذَّتِـهِ ... مُقَلِّبًـا قَلْبَـهُ عَـلَى الْجَمْـرِ

عُرْضَـةُ نَـسْرٍ يَحُفُّهَـا جَبَـلٌ ... يَقْطُـنُ فِيهَـا الْهُمُـومُ بـالْقَطْرِ

يَجِـيءُ فِي غَـيْرِ حِينِـهِ أَبَـدًا ... وَالـسَّهْلُ فِيهـا مَـشَاكِلُ الْـوَعْرِ

شِـتَاؤُهَا حَتْـفُ مَـنْ يَقَـرُّ بِهَـا ... بِثَلْجِهَـا الْمُـسْتَدَرِّ وَالْقَـرِّ

وَشَمْـسُهَا فِي الْمَـصِيفِ مُحْرِقَـةٌ ... تَقِيـدُ نِيرانُهَـا عَـلَى الـصَّخْرِ

عَجَـزْتَ يَـا مُحْـصِيَ الْعُيُـوبِ بِهَـا ... قَـدْكَ أَتْعْـصِي عَجَائِـبَ الْبَحْـرِ؟

سُـمِّيتِ الْمَوْصِـلَ الْمُوَاصِـلَةَ الْـ ... ـحُزْنِ لَمَّـا جَاءَهَـا عَـلَى خُـبْرِ

إِنْ أَذِنَ اللهُ فِي الرَّحِيـلِ فَقَـدْ ... أُعِيـدَ طَـيُّ الـسُّرُورِ ذَا نَـشْرِ

لأَقْتَـضِي لَـذَّةً مُطَلْـتُ بِهَـا ... يَعُـودُ رِبْحِـي فِيهـا إِلَى خُـسْرِ

وَأَجْـتَلِي الْخُمْـرَ فِي غَلائِلِهَـا ... حَتَّـى يُفَـرِّي غَلائَلَـةَ الفَجْـرِ

وَشَـادِنٍ مَلَكَتْـهُ خَالِـصَتِي ... إِبَاحَـةً لاَ تُـشَانَ بِـالْحَظْرِ

تَلْمَـعُ كَاسَـاتُهُ كَبَارِقَـةٍ ... فِي كَفِّـهِ أَوْ كَـذَائِبِ الـتِّبْرِ

فَدَيْتُ مَنْ بِعْتُ فِي مَحَاسِنِهِ ... دِينِيَ بِالإِثْمِ فِيهِ وَالْوِزْرِ
وَلَيْلَةٍ يُنْتَجُ السُّؤَالُ بِهَا ... يَصْغُرُ قَدْرًا عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
سَعِدْتُ فِيهَا بِذِي مُسَاعَدَةٍ ... أَقْبِضُ بِالْوَصْلِ مُهْجَةَ الْهَجْرِ
أَغَرُّ بِالذَّنْبِ غَيْرَ مُعْتَمِدٍ ... مُوَهَّةَ صَحْوُ الْمُرادِ بِالسُّكْرِ
يَا لَكِ مِنْ لَيْلَةٍ مُحَسَّدَةٍ ... تُعَدُّ فِي الدَّهْرِ غُرَّةَ الدَّهْرِ
أَحْيَا بِدَهْرِ الشَّبَابِ دَوْلَتَهُ ... فَمَا لِدَهْرِ الْمَشِيبِ مِنْ عُذْرِ

وقال:

قُضِّ بِالْخُمْرَةِ الْوَطَرْ ... وَاشْرَبِ الصَّفْوَ لاَ الْكَدَرْ
صِدْ بِهَا شَارِدَ السُّرُو ... رِ وَمَنْ صَدَّ إِذْ نَفَرْ
لَيْلَتِي لاَ عَدِمْتُ مِنْـ ... ـلَكِ يَا غَلْطَةَ الْقَدَرْ
حَجَبَ اللهُ مِنْكِ فِطْـ ... ـنَةَ دَهْرٍ لَهُ غِيَرْ
قَدْ تَمَرَّغْتُ فِي النَّعِيـ ... ـمِ وَأُسْعِدْتُ بِالظَّفَرْ
أَمْرُنَا نَافِذٌ وَلَيْـ ... ـلَتُنَا كُلُّهَا سَحَرْ

وقال:

اشْرَبْ غَبُوقًا فَالْغَرْبُ قَدْ نَوَّرْ ... وَجَاءَ وَالِي الظَّلاَمِ فِي عَسْكَرْ
وَلَّى نَهَارُ الْمَصِيفِ مُشْتَمِلًا ... غَضًّا وَجَاءَ الظَّلاَمُ يَسْتَبِرْ
فَبَادِرِ الْعَيْشَ عِنْدَ فُرْصَتِهِ ... أَنَّ زَمَانَ السُّرُورِ مُسْتَقْصَرْ
قُولا لِمَكْتُومَ أَوْلِنِي حَسَنًا ... مِنْكَ وَمَا تُولِهِ فَلَنْ يُكْفَرْ
أَيُّ عَذُولٍ يَرَاكَ كَالْغُصْنِ الـ ... ـنَّاعِمِ تَمْشِي بِالرَّاحِ لا يَعْذِرْ

وقال:

وَمِمَّا شَجانِي أَنَّهُ حِينَ جاءَنِي ... يَزِفُّ عُقارًا فِي غِلالَةِ نُورِ
تَحاشَ باسْمِي كَيْ يُرِيبَنِي مَوَدَّةً ... فَخادَعْتُ نَفْسِي قائِلًا بِسُرُورِ
وفاضَتْ عَلَى خَدَّيْهِ حُمْرَةُ خَجْلَةٍ ... وَرَصَّفَ لَفْظًا مِنْ صِناعَةِ زُورِ
أَلَمْ تَرَنِي أَرْغَمْتُ بِالْفَتْكِ عافِلِي ... وَأَسْبَلْتُ مِنْ دُونِ الْحَياءِ سُتُورِي
وعاقَرْتُ رِيقَ الرِّيمِ مُرْوِي غُلَّةٍ ... وَرَقَّصْتُ كاساتِي لِماءِ غَدِيرِ
فَيا لَيْتَ لِي كانَتْ مِنَ الدَّهْرِ خُلْسَةٌ ... أَبُثُّ لَهَا بِالرَّغْمِ كُلَّ غَيُورِ

وقال في غلام نصراني:

يَا رُبَّ زَوْرٍ مُنْعِمٍ مَزارُهُ ... يَلْحَفُهُ مِنْ لَيْلِهِ إزارُهُ
بَشَّرَنِي بِبَذْلِهِ زُنَّارُهُ ... وَحُسْنُ خَدٍّ نَصَعَ احْمِرارُهُ
يُفِيتُ بِالْحُمْرَةِ جُلَّنارُهُ ... يُطْلِعُ مِنْها قَمَرًا أَزْرارُهُ
عُذِّرَ فِي عارِضِهِ عِذارُهُ ... فَأَعْجَلَ الْمُهْلَةَ لِي بِدارُهُ
جَرْيَ جَوادٍ لَمْ يُخَفْ عِثارُهُ ... يُؤْخَذُ مِنْ بُعْدٍ بِقُرْبٍ ثارُهُ

لا كانَ جَرْيٌ لَمْ يُثِرْ غُبارُهُ

وقال:

فَدَيْتُكَ ما أَظْهِرُ ... قَلِيلًا لِما أُضْمِرُ
وَلِي بَدَنٌ ناحِلٌ ... عَلَى الْهَجْرِ لا يَصْبِرُ
أَحاطَ بِجِسْمِي الْهَوَى ... فَحَوْلِي لَهُ عَسْكَرُ

لِسانِي لَهُ كاتِمٌ وَدَمْعِي لَهُ مُظْهِرُ

وقال:

طَرِبْتُ إلى عَمّي وعاوَدَنِي ذِكْرِي وَقَسَّمَ شَوَّالٌ بِقَدْمَتِهِ فِكْرِي
فَكَمْ فَتْكَةٍ لِي فِي ذُرَى عَرَصاتِها أَرُوحُ عَلى سُكْرٍ وأَغْدُو عَلَى سُكْرِ
طَرَقْتُ بِهَا الخُمّارَ والنَّجْمُ طالِعٌ طُلُوعَ سِنانٍ قاصِدٍ ثَغْرَةَ النَّحْرِ
فأَنْكَحَنِي خَمْرًا رَضِيتُ نِكاحَها وأَغْلَيْتُ بِالسَّوْمِ المُبالِغَ وَالمَهْرِ
وَقُلْتُ لِساقِينا أَدِرْ لِيَ خَمْرَةً تُنِيلُ المُنى وافْجُرْ بِطَلْعَتِها فَجْرِي
فَقامَ خَلُوبُ الدَّلِّ يَجْلُو سُلافَةً تُشَبِّهُهُ فِي كاساتِها ذائِبَ التِّبْرِ
كَأَنَّ أَبارِيقَ اللُّجَيْنِ إذا انْحَنَتْ رِقابُ غَرانِيقٍ تَطَلَّعُ مِنْ وَكْرِ
لَهُ مُقْلَةٌ تَسْبِي العُقُولَ وَفِتْنَةٌ تُسَقِّطُنِي مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلاَ أَدْرِي
عَلِيمٌ بِوَحْيِ الطَّرْفِ حَتَّى كَأَنَّما يُخاطِبُهُ فِكْرِي بِما ضَمَّهُ صَدْرِي
فَحَطَّ عَلَى حُكْمِي رِحالَ إجابَةٍ وَسارَ بِما أَهْواهُ طَوْعًا إلَى أَمْرِي
فَيا لَيْلَةً قَدْ أَسْعَفَتْنِي بِطِيبِها وَقَفْتُ عَلَيْها الدَّهْرَ أَلْسِنَةَ الشُّكْرِ

وقال:

دَاوِ الخُمارَ بِخَمْرِهِ وَصِلِ الصَّبُوحَ بِفَجْرِهِ
وَاطْرَبْ لِفِطْرٍ زائِرٍ أَهْلًا بِهِ وَبِزَوْرِهِ
مَأْسُورُ آبٍ فَكَّ أَيْـ ـلُولٌ لَنا عَنْ أَسْرِهِ
يَأْتِي كَمَعْشُوقٍ مَحا بِالْوَصْلِ أَسْطُرَ هَجْرِهِ
يا لَيْلَتِي بِالقَفْصِ جا دَلَكِ العَذُولُ بِعُذْرِهِ

لَمَّا رَأَى رَشَأٌ يُذِيـ ... ـبُ العَقْلَ ذائِبُ نَيْرِهِ
مُتَمَرِّدًا في سُكْرِهِ ... مُتَمايِلًا في خَطْرِهِ
كَالْبَدْرِ إلاَّ أَنَّهُ ... بَدْرٌ لِسائِرِ شَهْرِهِ
فَشَرِبْتُ خَمْرَةَ كَأْسِهِ ... وَرَشَفْتُ خَمْرَةَ ثَغْرِهِ
وَوَشَا إِلَيَّ بِبَذْلِهِ ... زُنَّارُهُ في خَصْرِهِ

وقال:

قَدْ ضاعَ فيكَ صَبْرِي ... يا راغِبًا في الغَدْرِ
فَلَيْسَ فِيكَ أَدْرِي ... مَنْفَعَتِي مِنْ ضُرِّي
فَهَلْ أَراكَ عُمْرِي ... مُهاجِرًا لِهَجْرِي
وَفَهْوَةٍ كَالْخَمْرِ ... تِبْرٌ وَلَكِنْ تَجْرِي
أَدارَها في الْفَجْرِ ... مُقَرْطَقٌ كَالْبَدْرِ
يَضْحَكُ لِي عَنْ ثَغْرِ ... مِثْلِ صِغارِ الدُّرِّ
أَصْبَحَ فِيهِ سِرِّي ... مُخْتَلِطًا بِالْجَهْرِ[1]
مُفْتَتِنًا بِالْخَمْرِ ... أَظْلِمُ فِيهَا وَفْرِي

وقال:

وَلَعْتُ بِبَيْضاءَ شابَتْ أَسْوَدَ الشَّعَرِ ... أَشَيْبٌ أَمْ خَيالٌ خالَهُ نَظَرِي
فَقُلْتُ هَذَا اعْتِداءُ الدَّهْرِ عاجَلَنِي ... لِطُولِ مَطْلِكَ لِي فِي أَقْصَرِ الْعُمُرِ

---

(١) بعد هذا شطر رجحه الناسخ وهو: ولا أزال عمري.

لا تَـأْمَنِي فِي زَمَـانِ الـسُّوءِ غَدْرَتَـهُ ... فَإِنَّـهُ مُولَـعٌ بالْغَـدْرِ وَالْغِـيَرِ
كَـوِنِي ولاَ تَثِقِـي مِنْـهُ عَـلَى حَـذَرِ ... وَمَـنْ يَفُـوتُ صُرُوفَ الـدَّهْرِ بِالْحَـذَرِ
فاسْـتَعْبَرَتْ ثُـمَّ قالَـت جَـدَّ هَزْلُـكَ بِي ... إِذْ تَـدَّعِي غَلَـبَ الأَحْـزانِ وَالْفِكَـرِ
وَلَمْ يَـزَلْ حُبُّهـا صَـعْبًا عَـلَى أَرَبِي ... فِيـهِ الْمَنِيَّـةُ إِيـرادًا بِـلا صَـدَرِ
وكَيْـفَ أَعْطِـفُ بِالـشَّكْوَى وَرِقَّتِهـا ... قَلْبًـا أَشَـدُّ لَـدَى الـشَّكْوَى مِـنَ الْحَجَـرِ

وقال:

أَيـا مَـنْ خـانَ تَحْـبَرُهُ ... وَعَـزَّ الـصَّبَّ مَنْظَـرُهُ
وَمَـنْ أُخْفِـي هَـوَايَ لَـهُ ... وَدَمْـعُ الْعَـيْنِ يُظْهِـرُهُ
أَنِلْنِـي مِـنْكَ وَصْـلًا ... حَقِـيرًا لَسْتُ أَحْقِـرُهُ
وَلا يَمْنَعْـكَ قِلَّتُـهُ ... أَقَـلُّ الْوَصْـلِ أَكْثَـرُهُ

وقال يرثي جارية مغنية، كان لها موقع من قلبه:

على قافية السين

وقَـالُوا اصْـطَبِرْ فَالـصَّبْرُ شَيْءٌ عَدِمْتُـهُ ... لِفَقْدِي صَـفْوَ الْعَـيْشِ مِـنْ مُنْيَـةِ النَّفْسِ
عَـدِمْتُ الكَـرَى لَّـا عَـدِمْتُ بَـدائِعًا ... جَعَلْـنَ قِـرَى نَفْـسِي بِحَلْقِـكِ وَالْجَـسِّ
لَقَـد كُنْـتِ إِنْ غَنَّيْـتِ أَغْنَيْـتِ لَـذَّتِي ... بِصَوْتٍ يُعِيرُ السَّمعَ رِبحًا بِـلا وَكْـسِ
أَرَقُّ مِـنَ الـشَّكْوَى وَأَحْـلَى مِـنَ الْمُنَـى ... وَأَرْوَحُ مِـنْ أَمْـنٍ وَأَلْطَـفُ مِـنْ حِـسِّ
لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتِ سَـعْدِي وَفِيـكِ لِي ... رَجـاءٌ لَقَـدْ أَمْـسَيْتِ بِالْيَـأْسِ لِي نَحْسِي
فَلَـوْ كَـانَ يَفْـدِي الْمَيْـتَ حَـيٌّ فَـدَيْتُهَا ... بِنَفْـسِي وَفَـاءً غَـيْرَ نَقْـصٍ وَلاَ بَخْـسِ

وقال:

طَلَعَتْ شَمْسُ عُقَارٍ ... وَسُقَاةٌ كَالشُّمُوسِ
فَتَلَقَّوْهَا بِبِشْرٍ ... وَاغْتِبَاطٍ بِالأَنِيسِ
وَلَيْدُرْ كَأْسُ بُدُورٍ ... فِيهِ أَهْوَاءُ النُّفُوسِ
وَاصِلٌ بَعْدَ جَفَاءٍ ... ضَاحِكٌ بَعْدَ عُبُوسِ
قَرَّبُونِي مِنْ نَعِيمٍ ... مُبْعَدٍ عَنْ كُلِّ بُوسِ
أَطْيَبُ الْعَيْشِ بُدُورٌ ... تَتَمَشَّى بِشُمُوسِ
أَنَجُمُ الْمُحْرُومِ هَذَا ... طَالِعَاتٌ بِنُحُوسِ

وقال على قافية الضاد

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الدُّجْنَ يَجْرِي بِبَدْرِهِ ... عَدَلْتُ بِهِ هُوِي بِمُعْتَدِلٍ غَضِّ
وَمَشْمُولَةٍ دَسَّتْ خَوَادِمُهَا بِهَا ... فَأَغْرَتْ بِتَوْبَاتِي وَسَائِلِ لِلنَّقْضِ
ظِبَاءٌ لَهَا فِي النَّفْسِ أَمْرٌ مُحَكَّمٌ ... وَغَمٌّ جَرِيٌّ الْجَوْرِ فِي الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ

وقال يرثي أباه:

على قافية العين

يَا تُرْبُ ضَمَّنَكَ الْمَمَاتُ مُسَوَّدًا ... كَادَتْ لَهُ نَفْسِي تَزُولُ تَقَطُّعَا
قَدْ كُنْتُ آمَلُ أَنْ يَقِيكَ الدَّهْرُ لِي ... صَرْفَ الْحُتُوفِ وَأَنْ تَكُونَ مُفَجَّعَا
حَتَّى رَأَيْتُ الْمُشْفِقِينَ تَقَطَّعَتْ ... لِمَالِهِمْ وَرَأَيْتُ يَوْمَكَ مُقْطِعَا
إِنْ كَانَ غَيَّرَ مِنْ مَحَاسِنِكَ الْبِلَى ... وَرَمَى قَلَمْ يَتْرُكْ لِسَهْمٍ مَنْزَعَا

فلقد فقدتُ محاسنَ الدُّنيا بهِ ... وكذا الزمانُ مُفرِّقٌ ما جمَّعا

وقال على قافية القاف

يا مَنْ أريحَ مِنَ الفِراق ... وفِراقُهُ بالهُجْرِ باقي
أهْوَى الفِراقَ وإنْ رأيـ ... ـتُ الموْتَ في شَخْصِ الفِراقِ
لِتقارُبٍ عِنْدَ الوَداعِ ... وقُلَّةٍ عِنْدَ العِناقِ

وكتب إلى أخيه هارون:

سَيِّدِي أنتَ ومَنْ لَمْ ... يَزَلِ الدَّهرَ يُوَفَّقْ
عِنْدَنا أطْيَبُ مَنْ يَخْـ ... ـتارُهُ السَّمْعُ وأحْذَقْ
وأرَى جامِعَ شَمْلي ... كُلَّما غِبْتَ مُفَرَّقْ
وقَمِيصَ الدَّهْرِ مِنْ بَعْـ ... ـدِكَ قَدْ أودَى وأخْلَقْ
إيتنا قَدْ كَسَدَتْ ... سُوقُ اللَّذاذاتِ لِتَنْفَقْ
أرْكِبِ الكاساتِ كَفَّ ... الرِّيمِ بالخَمْرِ المُعَتَّقْ

وقال يصف اللينوفر:

سَقانِيَ صَفْوًا مِنْ سُلافٍ كَرِيقِهِ ... وحَيَّا فأحْيا قَلْبَ لُهفانَ وامِقِ
بِنَيْلُوفَرٍ مِثْلِ الكُئُوسِ شَمَمْتُهُ ... حَكَتْ رِيحُهُ رِيحَ الحَبِيبِ المُوافِقِ
حَكَى رَقْدَةَ المَعْشُوقِ قَبْلَ انْفتاحِهِ ... وبَعْدَ انْفِتاحِ الجَفْنِ تَسْهِيدُ عاشِقِ

وقال على قافية الكاف

مَنَحْتُكَ الوُدَّ مِنِّي ... فَجازِ بالوُدِّ مِنْكا

لَوْ كَانَ قَلْبِي مُطِيعًا طَمِعْتُ فِي الصَّبْرِ عَنْكَا
لكِنَّهُ فِيكَ عَاصٍ يَكُفُّ إِنْ لَمْ يُعِنْكَا
إِنْ خُنْتَ بِالْغَيْبِ عَهْدِي فَأَنَّنِي لَمْ أَخُنْكَا

وقال:

وَزِقٌّ صَرِيعٍ قَطِيعِ الْبَدَنِ قَتَلْنَاهُ عَمْدًا وَلَمْ نَبْكِهِ
سَفَكْتُ دَمًا مِنْهُ لَمْ يُؤْذِهِ وكَانَ لِي الحَظُّ فِي سَفْكِهِ
مَعِي طَرَبٌ لا يُطِيعُ المَلامَ وَلَيْسَ يُقَصِّرُ عَنْ فَتْكِهِ

وقال على قافية اللام

وَمُحَجَّبٍ نَبَّهْتُهُ وَالشَّمْسُ تَقْرُبُ لِلأُفُولِ
نَظَرَتْ إِلَى أُفُقِ الثُّرُو قِ تَلَهُّفًا نَظَرَ الْعَلِيلِ
والضَّوْءُ يُنْجِلُ جِسْمَهُ وَسِقَامُها سَبَبُ النُّحُولِ
مَا نَغَّصَتْهُ وَصْلَها حَتَّى تَرَدَّتْ بِالأَصِيلِ
فَأَفَاقَ مَعْقُولَ اللِّسا نِ وَسَا تَمَتَّعَ بِالْمُقِيلِ
يَزْنُو بِمُقْلَةِ جُؤْذَرٍ لَمْ يَخْلُ يَوْمًا مِنْ قَتِيلِ
لَحَظَ الضِّيَاءُ ظَلامَهُ مِنْ نَاظِرَيْ فَجْرٍ ضَئِيلِ
قُلْتُ: اهْدِنِي سُبُلَ اللَّذَا ذَةِ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَبِيلِ

وقال يمدح أباه:

يَا مُلْزِمِي بِالذَّنْبِ مَا لَمْ أَفْعَلِ ومولِيًا عَنْ وَجْهِهِ وُدَّ مُقْبِلِ

أَوَمـا تَهـاكَ جَمـالُ وَجْهِـكَ أَنْ تَـرَى ... مُتَعالِيًـا فِي الظُّلْـمِ غَـيْرَ الْمُجْمِـلِ
عَـدَلَ الخَلِيفَـةُ جَعْفَـرٌ فِي مُلْكِـهِ ... وعَـلِيٌّ فِي مُلْـكِ الْهَـوَى لَمْ يَعْـدِلِ
مَلِـكٌ يُـسابِقُ وَعْـدَهُ إِنْجـازُهُ ... وَيَجُـودُ مُبْتَـدِئًا بِـما لَمْ يُـسْأَلِ
سَـمَّاهُ مُقْتَـدِرًا إِلـهٌ قـادِرٌ ... وَعَـلا بِـهِ عِـزُّ الْعَـلِيِّ وَالْمُعْتَلِي
طـالَ الْمُلـوكَ بِعَفْـوِهِ ونَوالِـهِ ... وكَـذا يَطُـولُ لَهُـمْ بِعُمْـرٍ أَطْـوَلِ

وقال:

طـابَ عَيْـشِي بِـرَغْمِ أَنْـفِ الْعَـذُولِ ... وَتَمَتَّعْـتُ مِـنْ وِصـالٍ وَصُـولِ
وَأَتانـا الْهَـواءُ عَـنْ غَـيْرِ وَعْـدٍ ... فَرَأَيْنـا تِـسْرِينَ فِي أَيْلُـولِ
فاقْبَـلَ الْكـأْسَ يـا خَلِـيلِي مِـنْ سا ... قٍ مَلِـيحٍ دلالُـهُ مَقْبُـولِ
زادَ طِيـبَ الأَقْـداحِ كَفَّـاهُ طِيبًـا ... وَأَعـارَ الـشَّمُولَ طِيـبَ الـشَّمُولِ

وقال:

لِحاظُـهُ تُطْمِـعُ فِي نَيْلِـهِ ... وَبَيْهُـهُ يُـؤْيِسُ مِـنْ وَصْـلِهِ
أَفْـدِي الَّـذِي أَسْرَفَ فِي جُـودِهِ ... فَـأَيْسَ الْعاشِـقَ مِـنْ عَذْلِـهِ
قُلْـتُ لَـهُ وَالْغَـنْجُ كُحْـلٌ لَـهُ ... وَالـشَّكْلُ مَنْـسُوبٌ إِلى شَـكْلِهِ
تُنْكِـرُ ظُلْـمَ النَّـاسِ عُـشَّاقَهُمْ ... وَأَنْـتَ تَجْـرِي بِي إِلى مِثْلِـهِ؟

وقال يمدح سُرَّ مَن رَأَى، ويزعم أنه سيسكنها:

قافية الميم

كُـرِّي الْمَـلامَ فَبـاغِي اللَّـوْمِ مَخْـصُومُ ... والـدَّهْرُ مُـذْ كـانَ مَحْمُـودٌ وَمَـذْمُومُ

فقال فيها:

بِسُرَّ مَنْ رَى بِلادِ المُلْكِ طابَ لَنا ... مُعَرَّسٌ عَيشُهُ بِاللَّهْوِ مَنْظُومُ

أَرْضٌ مَتى اخْتُلِسَتْ أَلْحاظُها نَظَرًا ... اهْتاجَ ذُو طَرَبٍ وارتاحَ مَهْمُومُ

وَالخُيْرُ والقَصْرُ والفاطُولُ جَنَّتُها ... والجُعْفَرِيُّ بِكَفِّ الدَّهْرِ مَزْمُومُ

مَنازِلٌ آنَسَتْ دَهْرًا فَأَوْحَشَها ... ظُلْمُ الزَّمانِ فَمَثْلُومٌ ومَهْدُومُ

عَفَتْ وغَيَّرَها وَصْلُ الرِّياحِ لَها ... والوَصْلُ مِنْهَا بِحَبْلِ الهَجْرِ مَحْتُومُ

أَنَّى أَرَى رَجْعَةً لِلدَّهْرِ يَلْحَظُها ... غَنِمْتُها إِنْ وَفَتْ والعَيْشُ مَغْنُومُ

وَسَوْفَ يَنْزِعُ بِي ذِكْرٌ يُشَوِّقُني ... إِلَى ذُراكِ فَيَبْدُو مِنْهُ مَكْتُومُ

وَإِنْ أَحُلْكِ لا آسَى عَلَى بَلَدٍ ... وَحَبْلُهُ مِنْ حِبالِي فِيكِ مَصْرُومُ

أَرَجْعَةَ الدَّهْرِ هَلْ وَعْدٌ فَآمُلُهُ ... أَمْ عَطْفُ عَذْلِكِ مَفْقُودٌ وَمَعْدُومُ

وَما شَجانِي كَذِكْرَى خِلَّتُها خُلُمًا ... كَأَنَّ قَلْبِي لَها بِالذِّكْرِ مَكْلُومُ

أَيْنَ الزَّمانُ الَّذِي أَسْهَرْتُ عاذِلَتِي ... فِيهِ وغُودِرَ خَصْمِي وَهُوَ مَخْصُومُ

بَيْنَ الصَّراةِ وكَرْخايا تَمُرُّ بِهِ ... وَالعَيْشُ مِنْ نَكَباتِ الدَّهْرِ مَعْصُومُ

والغَضُّ دِينٌ وَشُرْبُ الرَّاحِ مُفْتَرَضٌ ... وَالهَتْكُ مُسْتَعْمَلٌ والصَّوْنُ مَثْلُومُ

وقال يفخر:

مَنْ ذا يُقِيمُ دَعائِمَ الإِسْلامِ ... وَيَعُمُّ بِالإِفْضالِ والإِنْعامِ

فِينا النُّبُوَّةُ والخِلافَةُ حُكْمُنا ... ماضٍ كَما شِئْنا عَلَى الأَيّامِ

لا يَنْقُضُ الأَعْداءُ مُبْرَمَ أَمْرِنا ... وَبِنا تَمامُ النَّقْضِ وَالإِبْرامِ

أَمْضِي مِنَ الأَجَلِ المُعَجَّلِ أَمْرُنا ... يَأْتِيكَ قَبْلَ الفِكْرِ والأَوْهامِ

وقال على قافية النون

حَبيبٌ لَيْسَ يَنْصِفُني ... وَمَوْلًى لَيْسَ يَرْحَمُني
أَمُرُّ بِهِ فَيَعْدِلُني ... وَأُنْصِفُهُ فَيَظْلِمُني
وَلِي أَمَلٌ يَلُوذُ بِهِ ... يُعَنِّيني وَيُطْمِعُني
يَضِنُّ بِوَعْدِهِ فَإِذا ... أجابَ إِلَيْهِ أَخْلَفَني
أَما تَرْثي لِمُكْتَئِبٍ ... أَسِيرٍ فِي يَدِ الْحُزَنِ

وقال على قافية الهاء

وَابِي مَنْ لَسْتُ أَنْساهُ ... وَمَنْ عَلَى الهِجْرانِ أَهْواهُ
إِنْ واصَلَ النِّسْيانَ لِي فِي الهَوى ... فَإِنَّني وَاصَلْتُ ذِكْراهُ

قال الصولي: وشعر الراضي كثير، وقد جئت بالمختار منه، وفي بعضه أغانٍ أجودها وأحسنها ما عمله عبد الواحد بن طرخان.

وفاة الراضي

وتوفي الراضي ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وغسله أبو الحسن بن عبد الواحد الهاشمي، وقد ولي القضاء. فحدثني أنه ما رأى ميتًا أحسن منه ولا أطيب عرضا ولا أنظف جسدًا منه، وأنه كان يصب الماء عليه خادم أسود، وأن القاضي أبا نصر كان واقفًا يعينه على قلبه إذا أراد أن يقلبه لا يعينه من أمره على غير ذلك، وأنه لم يؤت بحنوط من الدار؛ لأن الخزائن كلها أقفل عليها، ووكل بها، فوجه القاضي إلى الكرخ؛ إلى المعروف بابن أبي ذكرى العطار، حتى حمل من دكانه حنوطًا وجميع ما يحتاج إليه، وصلى عليه القاضي أبو نصر وحمل في طيار في

دجلة إلى بين القصرين.

وأخرج، ثم حمل مع الخدم إلى الرصافة. فحدثني من رأى مع الجنازة عشر شمعات بأيدي عشرة من الخدم، ودفن في ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول. فكان جلوسه في الخلافة من يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة إلى يوم وفاته -ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام.

وكان مولده في شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين، فكان عمره إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر.

وتوفي والوزير له سليمان بن الحسن، وحاجبه أبو الفهم ذكي غلامه، وقاضيه أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد، وصاحب شرطته الترجمان محمد بن ينال، والأمير على الجيش، والغالب على الأمور بجكم التركي، وكان قبل وفاته مقيمًا بواسط، وكانت به علل كثيرة، وكان يقول أنا مذ حبسني القاهر عليل إلى وقتي هذا، وتزايدت علته قبل وفاته بسنة وفسد مزاجه، وكان ذلك أصعب علله. وكان يلقي من فمه دمًا كثيرًا، حتى ألقى من فمه في يومين وليلتين - على ما قال سنان - أربعة عشر رطلًا، وكان أكثر ذلك بحضرتنا.

ولقد أعطاه سنان دواء يأخذهُ بملعقة فبقيت الملعقة في يده ساعة، كلما أومأ بها إلى فيه غلبه الدم، حتى أمسك قليلًا فرمى بما على الملعقة إلى فيه، ثم عاوده الدم. وكان مع هذا في جوفه غلظ تزايد في آخر أيامه.

وكان كثير الخلاف على من يطبه، لا يقبل مشورته، ويضمن أن يحتمي ولا يفي بضمانه، وكان الجماع والشراب أعظم آفاته مع عشاء يديمه كل يوم إلى غير حاجة إليه، وهذا ما ذكرت من أخباره أنه لم يكن فيه عيب إلا مسامحته نفسه فيما تشتهيه، وما كان أكله بالكثير ولا شربه، ولكن شهوته زادت على طاقة

جسمه وقوته.

ومن شعره عند زيادة علته:

أَيا نفسُ كُوني بَعْدَ عِلْمِكِ وَالْفَحْصِ ... عَلَى حَذَرٍ وَارْضَيْ مِنَ الْكُلِ بِالشِّقْصِ
ثِقِي وَاعْلَمِي أَنَّ المَمَاتَ مُعَجَّلٌ ... إِلَى كُلِّ ذِي زُهْدٍ عَزُوفٍ وَذِي حِرْصِ
وَلا تَطْلُبِي حَالَ التَّمَامِ فَإِنَّهُ ... إِذا تَمَّ أمرُ المَرْءِ آذَنَ بِالنَّقْصِ

ومن شعره:

كُلُّ صَفْوٍ إِلى كَدَرْ ... كُلُّ أَمْرٍ إِلى حَذَرْ
ومَصِيرُ الشَّبابِ لِلْـ ... ـمَوْتِ فِيهِ أَوْ كِبَرْ
دَرَّ دَرُّ المَشِيبِ مِنْ ... وَاعِظٍ يُنْذِرُ الْبَشَرْ
أَيُّها الآمِلُ الَّذِي ... تاهَ فِي لُجَّةِ الغَرَرْ
أَيْنَ مَنْ كانَ قَبْلَنا ... ذَهَبَ الشَّخْصُ وَالأَثَرْ
سَيُرَدُّ المُعارُ مِنْ ... عُمْرِ كُلٍّ خَطَرْ
رَبِّ إِنِّي ذَخَرْتُ عِنْـ ... ـدَكَ أَرْجُوكَ مُدَّخَرْ
إِنَّنِي مُؤْمِنٌ بِما ... بَيَّنَ الْوَحْيُ وَالسُّوَرْ
واعْتِرافِي بِتَرْكِ نَفْـ ... ـعِي وَإِثْارِي الضَّرَرْ
رَبِّ فَاغْفِرْ لِيَ الخَطِيَّـ ... ـةَ يا خَيْرَ مَنْ غَفَرْ

تمت أخبار الراضي بالله، يتلوه أخبار المتقي.